انتخاب أصناف الشعير بمشاركة المزارعين

لا أحد يعلم على وجه الدقة قبل أي عام عرف الإنسان الزراعة ٨٠٠٠ أو ١٠٠٠٠ عام حيث ابتدأ أجدادنا الأوائل بالتعرف على الزراعة وممارستها يدوياً وإدارة بعض النباتات البرية وإيجاد مصادر للغذاء وبمعرفتنا بأن الابتكارات في علم الزراعة أدت الى خلق نظام اجتماعي سمي فيما بعد بالحضارة .

عبر القرون الماضية وجد الإنسان في النظام الزراعي وبتجربته الحقلية خيارات واسعة من النباتات وقاعدة وراثية عريضة ومتباينة فيما بينها تجاوز عددها آلاف النباتات .



ترجمة وإعداد:
م. عبد الله خباز

اليوم فقط هناك / ١٥٠ / نوعاً نباتياً مزروعاً، اثني عشر منها تزود ثلاث أرباع غذاء العالم . فقط نصف نباتات العالم تشكل الغذاء الأساسي والذي يتأتى من عدد محدود من الأصناف القادمة من عدد محدود أيضاً من الأنواع النباتية وهي التي تشكل المحاصيل الأساسية الكبرى مثل / الرز - القمح - الذرة الصفراء والبيضاء. البطاطا و البطاطا الحلوة .

قام الباحثون بتطوير المدخلات الزراعية للحصول على أعلى غلة ممكنة وذلك في مراكز البحوث في كافة أنحاء العالم وهذا ما دعي بالثورة الخضراء . وهكذا توسعت الزراعة آلاف المرات إلى كافة الدول النامية مما أدى إلى توفير الغذاء إلى مئات الملايين في كافة أنحاء العالم، ولكن في قلب هذا النجاح برز شيء منذراً بحدوث خلل ما.

إن النظام البحثي المتبع من الأعلى الى الأسفل وضع المزارعين في وضع المتلقين للأبحاث بدلاً من كونهم مشاركين فيها .

إن هذا الاتجاه في تصنيع الزيادة الزراعية شكل العامل الأساسي فيما ندعوه بالتعرية الوراثية أو (الفقد الو راثي) ،هذا الوضع قاد الى حالتين الأولى فقد الأنواع والثانية تخفيض عدد الأصناف ليس فقط في المجال النباتي

وإنما للأنواع الحيوانية والأحياء الدقيقة . هذا التدهور كسر قاعدة استمرار وصيانة ارتقاء التنوع .

وتعتبر معرفة المزارعين بالتنوع الزراعي استمراراً حاسماً لهذا الارتقاء في عدة أماكن من العالم وتعتبر منظمة الفاو ان ربع مليون صنف من النباتات قابل للزراعة يزرع منها فقط / ٧٠٠٠ / صنف تشكل نسبتها أقل من ٣٪ تستخدم اليوم، والتنوع يعني الحياة ويعني الإختيار ففي عام ١٩٩٢ عقدت قمة الارض مؤتمرها ،قام فريق من المركز الدولي لتطوير الابحاث في كندا بتطوير برنامج يهدف لدعم هذه الجهود وفي عام ١٩٧٧ شارك برنامج التنوع الحيوي واضعاً ضمن أهدافه تحسين استخدامات التنوع الحيوي - الصيانة - زيادة المعارف - ممارسات المجتمعات المحلية وحفظ وحماية التنوع الحيوي - مع تحسين وتطوير استراتيجيات حفظ وتشجيع الواقع الزراعي والتنوع الحيوي والتنوع المائي ومشاركة التجمعات السكانية في وضع الممارسات والنظر الى حقوق المجتمعات المحلية في المصادر الوراثية والمشاركة العادلة بأرباح وفوائد هذه المصادر.

طريقة جديدة في العمل مع مزارعي الشعير في سوريا.

في أجزاء عديدة من شمال افريقيا ووطننا العربي تعتبر غلة بعض المحاصيل الاستراتيجية منخفضة ويعتبر سوء التغذية أكثر انتشاراً في الأماكن الفقيرة مهددة باستمرار المجاعة.

تهدف البرامج الوطنية للتربية عادة إلى تحسين إنتاجية المحاصيل ولكن يبدو تأثيرها الواسع متدنياً بسب عدم تبني المزاعين الأصناف الجديدة المستنبطة وتعتمد هذه البرامج على مركزية العمل واتباع أسلوب التوجيه من الأعلى إلى الأسفل بدون الأخذ بعين الاعتبار ظروف المزارعين ورغباتهم . ولكن السؤال الذي يطرح نفسه ماذا لو تم توزيع الأدوار في هذا البرنامج وشارك المزارعون جنباً إلى جنب مع المرشدين والباحثين يتعلمون منهم ويعلمونهم آخذين بعين الاعتبار كل ملاحظاتهم وخبراتهم باعتبارهم شركاء لهم في التخطيط والعمل وتحمل النتائج.

قبل مئات السنين عندما لم يكن هناك أبحاث ومحطات وباحثين يعنون بتربية النباتات كانت هناك أصناف نباتية وعروق حيوانية تأقلمت وعاشت في مناطقها بحسب نظرية البقاء للأقوى وكان وقتها الفلاحون بفطرتهم المعهودة يقومون بانتخاب نباتات وحيوانات إما لجمال شكلها أو لزيادة انتاجيتها ويكررون زراعتها وتربيتها حتى أصبح اسمها حالياً أصناف محلية (بلدية) وهي الآن نراها تتفوق على كثير من الأصناف المستنبطة المعتمدة من قبل مراكز البحوث الزراعية.

لذا قام فريق من / ايكاردا / منذ عام ١٩٩٧ بريادة طريقة جديدة بالتعامل مع المزارعين في المناطق الجافة في عدة بلدان منها المغرب - تونس - سوريا بتمويل من جهات ومؤسسات دولية وقد حملت البدايات فريق البحث والمزارعين الى هدف واحد هو تلبية احتياجات المزارعين الذين يعيشون في المناطق الجافة في تلك الدول . تم البدء في الشعير المحصول الاستراتيجي الثاني في سوريا بعد القمح مباشرة وله ارتباط وثيق بالإنتاج الحيواني وقد بلغت المساحة المزروعة بالشعير في سوريا عام ٢٠٠٢ / ١,٢٣٤,٠١٠ / مليون هـ علماً بأن المساحة الاجمالية في عام ١٩٩٣ كانت / ٢,١٦٨,٨٧٧ / مليون هـ وتتم زراعة الشعير حالياً في المناطق البعلية ابتداء من منطقة الاستقرار الرابعة وحتى الثانية حيث تتراوح كميات الهطول المطري بين / ٢٥٠ الى ٣٥٠ / ملم ويعتبر الجفاف العامل الأساسي الأول في الحد من إنتاجية الشعير كذلك توزع الهطولات المطرية .

وقد قام المشروع منذ عام ١٩٩٧ وبالتعاون مع مديرية الإرشاد الزراعي في وزارة الزراعة باختيار / ٨ / مواقع في منطقتي الاستقرار الثانية والثالثة وكانت على الشكل التالي بري شرقي - صوران في محافظة حماة . معر دبسي في ادلب . الباب في حلب .بيلونان والجرن الأسود في الرقة . تل براك والميلبية في الحسكة وبمعدل خمسة مزارعين لكل موقع بحيث كانت تتم زراعة / ٢٠٠ / صنف في العام الأول ينتخب منها المزارعون أفضل / ٢٠ / صنفاً بحسب اختيارهم ويقومون بزراعتها في العام القادم ليعودوا وينتخبوا منها أفضل خمسة أصناف لتتكرر زراعتها في العام الثالث بينما يقوم المشروع بإدخال / ٢٠٠ / صنف جديد لدى مزارعين جدد وهكذا دواليك تتسع حلقة المزارعين المشاركين . وقد بلغ عددهم حتى عام ٢٠٠٣ بحدود ١٠٠ مزارع شاركوا باختيار وانتخاب أصنافهم المرغوبة ومازالت الدائرة تتسع .

إن الانتخاب اللامركزي في حقول المزارعين يجنب الفشل في تبني بعض الأصناف وأدائها المتواضع في الحقول مقارنة بأدائها الجيد ضمن محطات البحوث حيث الظروف وشروط العمل تعتبر مثالية من حيث التسميد والري ويعتمد انتخاب المزارعين على العوامل البيئية والتي هي أ ساساً مختلفاً عما يحدث في برامج التربية الوطنية أو على عدد من الصفات الشكلية كطول النبات أو السنبلة ولون الحبوب ويفضل مزارعو منطقة حماه الأصناف البيضاء بينما يفضل مزارعو الرقة الأصناف السوداء وتشكل استساغة الحيوان للأتبان عاملاً هاماً في رغبة المزارع بالصنف حيث يتكامل الإنتاجين النباتي والحيواني في مناطق الاستقرار الثانية والثالثة والرابعة كذلك يفضل عدد من المزارعين أصنافاً سداسية الصف في حال كانت الزراعة مروية ونسبتها قليلة في سوريا ، وقد بلغت مساحة الشعير المروي في عام ٢٠٠٢ / ٤٨٧٧١ / هـ أما الشائع فهي الأصناف ثنائية الصف، ومن المفاجئ للجميع بأن الانتخاب الذي يقوم به المزارعون يؤدي عادة في النهاية

إلى ما قد يتوصل إليه الباحثون حيث زادت الإنتاجية في المناطق التي كانت تعاني من انخفاض في غلتها وبالنظر إلى هذه النتائج تبنى الباحثون هذه المنهجية التشاركية في العمل وأصبحت لديهم سلوك داعم لهذا النهج، وبناء على النجاح الذي تم تحقيقه في المرحلتين الأولى والثانية قرر فريق العمل إدخال مناطق ومحافظات أخرى مثل وادي خناصر في حلب ومحافظتي درعا والسويداء كذلك تم إقرار زراعة ستة أصناف متحملة للجفاف تم اختبارها واختيارها في عام ٢٠٠٠ السنة الأكثر جفافاً حيث تم اقتراح زراعتها في منطقة الاستقرار الرابعة في محافظة الحسكة لاختبارها في هذا الموسم / ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤/ وهكذا قرر المزارعون المشاركون استثمار نجاحاتهم في التجربة التي خاضوها وأوصوا في ورشة العمل التي أقامها المركز الدولي .. / ايكاردا / بالتعاون مع الهيئة العامة للبحوث الزراعية ومديرية الإرشاد الزراعي في حماة بتاريخ ١٧ - ١٨ / ٢ / ٢٠٠٣ بأن يتم تعميم منهج البحث التشاركي participatory plant breeding - PPB على تربية محاصيل أخرى أسوة بالدول المجاورة التي نقلت تجربتها من الشعير إلي الاقماح والعدس والحمص .

الدروس المستفادة من التجربة :

١- اكتساب المزارعين خبرات علمية جديدة خولتهم سلطة الانتخاب واتخاذ القرار في رغبتهم في زراعة أصنافهم المناسبة لمنطقتهم وتلبي رغباتهم. / الوصول إلى صنف لمنطقة / .

٢- أخذ فريق البحث بعين الاعتبار ارتباط عملية البحث التشاركي بالحاجة النفسية والاجتماعية والاقتصادية للمزارع.

٣- تدريب فريق العمل البحثي على تصميم التجارب وتحليل البيانات.

٤- تعديل دور المرشد الزراعي من ناقل للتقنية في طريقة البحث التقليدية إلى مشارك فاعل في العملية البحثية وحصوله على التغذية المرتجعة من المزارع مباشرة في الحقل خلال عملية الانتخاب وجولات تقييم نتائج الأصناف فيما بعد.

٥- تأهيل وتدريب المزارعين أنفسهم على عمليات الانتخاب الصحيحة وجعلهم نواة ارشادية حقيقية في قراهم لغيرهم من المزارعين.

أسئلة برسم الإجابة ؟؟؟.

١- أين نحن الآن من تطبيق النهج التشاركي في عملنا الارشادي والبحثي.

٢- متى نستطيع أن نحدد عدد سنوات اختبار أي صنف قبل اعتماده وهنا لابد من الإشارة الى أن الطريقة التقليدية في البحث قد تكون مازالت معتمد ة ومطبقة في العديد من المراكز البحثية في العالم ولكن علينا النظر أيضاً الى سرعتنا في الوصول الى أصناف عالية الإنتاج مناسبة لمناطق زراعتها ومتحملة للآفات وتلبي احتياجات المزارعين ورغباتهم الزراعية والتسويقية في أقصر وقت ممكن .

٣- إنها معادلة صعبة ولكن ليست مستحيلة فلابد من إيجاد آليات عمل جديدة وفاعلة وامكانيات موازية لتحقيقها.

المراجع :

RONNIE VERNOOY - SEEDS - PPB

Dr . SALVATORE CECCARELLI -ICARDA

عبدالله خباز / مديرية الارشاد - برنامج التعاون المشترك مع / ايكاردا /

المجموعة الإحصائية ٢٠٠٢

- وزارة الزراعة والإصلاح الزراعي.

